مفكرة

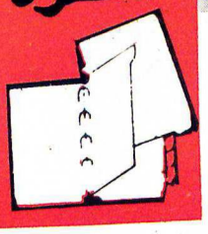

... وبقي أبو أمل هناك

(١)

« سأبقى هنا ، لن اخرج اطلاقـا ، بين هـذه « التنكيات » والاكواخ سأبقى ، وبعد ان يخرج اخر طفل من المخيم ، سأظل اقاتل ، لقد علمتني قناعاتي الثورية على ان القائد اخر من ينسحب ولن يستطيع الفاشيون انتزاع هذه القناعات » .

ابو أمل ١٩٧٦/٨/١١

« تل الزعتر »

وقال الذين شاهدوه انه كان يمتد بقامته الطويلة ، متشبثـا ببندقيته، ضاغطا عليها باصابعه الخشنة، وان رأسه الاشيب، كان غارقا بالاحمرار ، وعيناه مغمضتان ، كطفل .. من تـل الزعتر .

(٢)

... وذكرت الصحف الاسرائيلية ، ولعدة مرات عام ١٩٦٤ أن « آثار اقدام لمجموعة من المتسللين العرب قد شوهدت متجهة من الجانب اللبناني الى الجانب الفلسطيني من الحدود .. وحـين سألوا زوجته عن غيابه ذكرت انه يعمل في بساتين الليمون فـي الجنوب » .

وعاد ... وتفرجوا على يديه الداميتـين ، المذبوحة بصخور الارض .. وكبلوا اليدين .

(٣)

تختلط عذاباتك باحزان المسحوقين ــ ويستحيل الحقد الطبقـي المنبعث من « عامل محطة البنزين » حافرا نحو المجابهةاليومية مع المستغلين ، وتصبح كـل خطوة ولسنوات ــ باتجـاه الغيوم القادمة من « الجنوب » .

تتشابك الايدي ، وتتعانق الاصابع ، وتحتك البنادق ــ وبصمت نفتقد « خالد » ويسقط « ابو نظام » المعلم الاول ، ويتبعـه « ابو هيثم » ، لكن جبال الجنوب ، تستقبل مع كل ليلة معتمة وهجا « جليليا » ، ينبسط ا مع وطء اقدام الطيبين ، الآتـين من وراء الاسلاك .

... وكل شتلة تبغ ، كل سنديانة ، كل بركة ماء ، كـل مغارة ، هناك ، تعرف الاقدام المبتلة بطين الارض .

(٤)

في زمن الصمت ، حيث كانت الجذور تتسلل بهدوء الى باطـن الارض ، كنت أيها الرفيق « سيدا » ، واذا كان الصمت جزءا من فعلك ايضا ، وهكذا تعلقت الجذور في القاع ، فأينعت ، وانتشرت بذور الصنوبر ، فأثمرت عواصفا دموية ، وهبات ، وانتفاضات ، ما زالت تصنع تأريخنا حتى الان .

(٥)

... وكان « أبو أمل » أيها الرفاق انسانا مجبولا بطيبـة ريفية ، يحب الاخرين بمقدار ما يمقت المستغلين والمزيفين ، وكان طرازا من القادة النادرين الذين نستميت في البحث عن رعايتهم لنا الان .

لقد كانت قدرته على نسج علاقة مع الاطفال والشيوخ والشباب لا توصف ، ولذا بكاه اطفال صور ، وصيدا ، وبيروت ، وبكـاه الشيوخ والشباب والاطفال في الزعتر .

(٦)

... ويعود « أبو أمل » الى التل وفي ذهنه الاف الطموحات فيعرفه عمال وعاملات المصانع المنتشرة في « المكلس » ويتعلق به الريفيون القابعون على جوانب المخيم ــ وتتحلق حوله كوادر التنظيمات من «النبعة» و «ضبيه» وتحقق جماهيرنا انتصاراتها الرائعة في معارك « حرش ثابت » ويستشهد لنا اثنا عشر مـن أحسن المقاتلين في هذه المعارك .

لكن « أبو أمل » القائد البروليتاري الطيب يزداد التصاقـا بالارض ــ وايمانا بالانتصار ...

(٧)

... تقرأ احد التقارير الاتية من « تل الزعتر » :

« ينبغي ان نحقق انتصارات صغيرة حول المخيم ، فمبقدار ما نحقق مثل هذه الانتصارات ، ترتفع معنويات شعبنا وتكون مستعدة للعطاء اللامتناهي » .

وتسألنا ، تصرخ بنا ، يا « أبو أمل » لماذا لم تصل اطراف اصابعكم الى أذرعتنا المثخنـة بالجراح الممتدة من « معمل البلاط » مرورا بـ « تلة المير » ، وحتى دوار « سن الفيل » !؟

كنت حزينا في اخر اتصال ، ولكنك واثقا كالعادة من «ضرورة» الانتصار ، وقلت « هذا النمط من القيادات لا يمكن ان يحقـق الانتصارات ، لكن الثوريين ، سينتصرون في النهاية » .

(٨)

... ولعشرات المرات كان مئات المقاتلين ينتظرون ، فـي المحاور ، والازقة ، والتجمعات ، اشارة الانطلاق ، وفي كل مرة ، أيها الرفيق العزيز ، كان اصدقاؤك ، واحبتـك ، مـع هؤلاء ، ينتظرون ، وفي كل مرة كانت التعليمات لا تصل ، او تتغـير الخطة ، او يجد المسؤولون انفسهم مرهقين في اخر الليل ... وهل يمكن تنفيذ عمليات عسكرية في وضح النهار ؟

سلامة وهمكم ، ويسكت مقاتلونا ، ويغير اولئك الخطة ، وهكذا يا عزيزي ...

(٩)

هل عرفت أيها الرفيق لماذا لم تصل اطراف اصابعنا الـى أذرعتكم المشرئبة في كل اتجاه ؟؟

أبـو خالـد